محاضرة (1)

م.م. نور محمد هادي

علم النفس

- **نشأة علم النفس**

يعتبر علم النفس من أحدث العلوم وأقدمها فهو ذو تاريخ طويل وهو الذي يحاول فيه الفرد أن يفهم غيره من الناس ممن يتعامل معهم.

مرّ علم النفس بالعديد من الفترات الزمنية منذ ظهوره في ظل العلوم الفلسفية قديماً وحتى استقلاله عنها في العصر الحديث، ومن أهم هذه الفترات ما يأتي.

ارتبط علم النفس منذ بداية ظهوره بالفلسفة، فتناول الفلاسفة النفس الإنسانية بطريقة ميتافيزيقية أو استبطانية غيبية، حيث كان هناك خلط كبير بين مفاهيم الفكر، والوعي، والروح، والعقل، ووضعها بشكل متقابل مع الجسم والبدن المادي. كما ظهر اهتمام كافة فلسفات الشعوب القديمة بعمليات الإدراك، والعواطف، والمشاعر، فظهرت المساعي الكثيرة لمحاولة تفسير ومعرفة الأسباب الكامنة وراءها ووراء الانفعالات السلوكية المرئية التي يقوم بها الإنسان، فظهرت الكثير من الآراء المتعددة للفلاسفة القدماء والتي كانت تتعلق بعلم النفس والنفس البشرية ومن أهمها ما يأتي:

- **سقراط:** حيث كان يتطرق سقراط إلى حقيقة الذات الإنسانية دون الحديث عن العالم الخارجي، وأن على الفرد تأمل ذاته ليستطيع إدراك حقيقتها، حيث آمن بمبدأ الاستقراء العقلي والقياس

الاستدلالي في دراسته للنفس الإنسانية وتصوراتها الأخلاقية. وبشكل عام فقد كانت الذات والنفس هي المصدر الرئيسي والحقيقي للمعرفة عند سقراط.

- **أفلاطون:** يؤمن أفلاطون بالروح والتي اعتبرها من أصل سماوي، أما الجسد فقد اعتبره من أصل مادي، بالتالي فإن الروح هي التي تعمل على التحكم بالجسد وتسييره، كما كان يرى أنه لا يمكن تحصيل المعرفة المطلقة إلا عن طريق تحرير النفس من أسرها الجسدي وسموها إلى عالم المثاليّات، حيث إن الحقائق والوقائع تظهر جليةً بالنظر إلى الروح لوحدها بشكل منفصل.
- **أرسطو:** كان يرى أرسطو أن النفس والعقل أو ما أُطلق عليه الروح جزءٌ غير منفصلٍ عن الجسم المادي، أي إنه نفى إمكانية الفصل بينهما، فاعتقد أن الروح هي حقائق ومعانٍ تعود في أصلها إلى الجسم المادي أو المحسوس الذي توجد داخله، واستحال بذلك الفصل بينهما كما يستحيل الفصل بين المادة وشكلها، وأضاف أيضاً أن هذه النفس هي المصدر الأسمى للفضائل الإنسانية.
- **علم النفس في عصر الفلسفة الإسلامية**

لقد ساهم العرب والمسلمون مساهمة فعالة في تطوير مفاهيم علم النفس وقد وصلوا إلى كثير من المبادئ والقوانين النفسية المهمة في علم النفس، فقد تحدثوا عن النفس وألفوا فيها كتباً أثرت حتى اليوم في كتابات معظم علماء العرب.

ومن أبرز فلاسفة العرب والمسلمين هم:

- **الغزالي (أبو حامد محمد بن أحمد):**

وكانت له آراء مهمة في علم النفس من أهمها أنه تناول في كتاباته الفروق الفردية بين الأشياء، ولا يزال إلى الآن يتناولها علم النفس، ثم تناول أثر البيئة والوراثة في شخصية الفرد، كما تطرق الغزالي إلى أهمية الجانب العلمي في التعلم والمعرفة، وأشار إلى تكوين العادات وأثرها في أخلاق الشخص وإلى صفات وسمات المعلم والمتعلم، وقد أكد الغزالي أيضاً على دراسة الدوافع الإنسانية.

- **ابن سينا:**

هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، ويرى ابن سينا أن النفس خالدة، مغايرة للجسم، ويرفض مبدأ التناسخ الذي نادى به أفلاطون وقد قسم النفس الى ثلاثة أقسام هي النفس النباتية والحيوانية والنفس الإنسانية.

وأشار ابن سينا إلى ان أخلاق الفرد مكتسبة، كما أشار الى الربط بين النظرية والتطبيق أي الاستفادة من الاشياء التي يتعلمها وأشار إلى نظرية الإدراك الحسي الباطني وهي معدل المعرفة عن طريق الحواس الخمس، وأن الإدراك الحسي الباطني هو عملية تجريد الأشياء واستخدام التصور والخيال ويكون الدماغ مركز تلك العملية.

م.م. نور محمد هادي

علم النفس

متى فصل علم النفس عن الفلسفة؟

يجمع مؤرخو علم النفس على أن نشأة هذا العلم ترجع إلى بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويذهب العديد منهم إلى اعتبار عامي (1861م و 1879م) تاريخاً لاستقلال هذا العلم بعد أن كان مرتبطا بعلم الفلسفة وهم بهذا يشيرون إلى العالم الألماني (فونت) كمؤسس لعلم النفس، فمن المعروف أن (فونت) وضع في عام (1861م) أول جهاز في خدمة البحث السيكولوجي التجريبي، وبعد ثمانية عشر عاماً، أي في عام (1879 م) أقام أول مختبر للدراسات السيكولوجية.

وقد كان للدور الإيجابي الذي قام به (فونت) أثرا كبيرا في حسم الصراع لصالح استقلال علم النفس عامة، والنهوض بعلم النفس التجريبي خاصة، ولهذا الدور حقيقة تاريخية تفرض نفسها على الجميع ولا يملك أحد إزاء حيثياتها إلا التسليم بها، ولكن الحقيقة الأخرى التي ينبغي عدم إغفالها أو تجاوزها هي بروز أكثر من (فونت)، وأعمال أخرى غير أعماله في نفس الفترة التي شهدت ظهور علم النفس كعلم قائم بذاته.

ففي السنة التي ظهر فيها كتاب (فونت) بعنوان "مبادئ علم النفس الفسيولوجي" نشر (برنتانو) الجزء الأول من كتابه بعنوان "علم النفس من وجهة النظر الخِبْرية"، ومع أنه لم يكمل هذا الكتاب

إلا أن تعاليمه وجدت طريقها إلى الحياة والتطور والانتشار، إذ كان الفرد أو الباحث الذي يسعى ليكون سيكولوجياً من طراز جديد يواجه بخيارين محددين إما بـ"مبادئ علم النفس الفسيولوجي" لفونت، وإما بـ"علم النفس من وجهة النظر الخبرية" لبرنتانو.

وعلى أية حال فقد كان دور كل من (فونت وبرنتانو) في نشأة علم النفس واستقلاله واضحاً، وتأثيرهما على العديد من الاتجاهات في الفكر السيكولوجي لعقود من الزمن واضحة وملموسةً، وهذا ما يدركه الفرد من خلال مواقف وأعمال عشرات الباحثين والعلماء التي ألّفت بشكل نوعي محطات رئيسية على طريق تطور هذا العلم واتساع ميادينه، فمختبر (فونت) شجع الذين عملوا فيه على تأسيس مختبرات مشابهة في بلدانهم مكنتهم من تطوير أفكار معلمهم في اتجاهات شتى، وقاعة (برنتانو) كانت تضم طلاباً ممن وجدت أفكاره صدى عميقاً وإيجابياً لديهم، فكانت أرضية صالحة لنشوء أكثر من نظرية في علم النفس.

وإذا كان الصراع من أجل استقلال علم النفس في المراحل السابقة قد اتخذ طابعاً فردياً، فإنه خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر بدأ يعرف أشكالاً من التنظيم الجماعي ساعدت إلى حد بعيد في ولادة هذا العلم وتحديد مادته ومناهج البحث فيه وعلاقته بالعلوم الأخرى.

وهذا ما يفسر ظهور أقسام مستقلة لعلم النفس في جامعات أوربية والولايات المتحدة الأمريكية في

الفترة المذكورة، وكذلك انعقاد عدد من المؤتمرات الدولية لعلم النفس، كان أولها المؤتمر الذي عقد في باريس عام (1889) بمبادرة من جمعية علماء النفس الفسيولوجي لمدينة (باريس).

وأثناء المؤتمر الرابع الذي عقد عام (1900) في باريس برز توجه لدى المؤتمرين نحو تطوير المنهج التجريبي في ميدان علم النفس التكويني وعلم النفس التطبيقي وحاول ريبو(رئيس المؤتمر) و(هـ. ابنغهاوس) وغيرهما توضيح على أن توطيد علاقة علم النفس بفسيولوجيا الأعصاب، وتوسيع مجالات البحث التجريبي يضمنان تقدم هذا العلم في القرن العشرين.

كما تجلت تلك الروح العلمية الجماعية في صدور المجلات والدوريات التي تعالج قضايا علم النفس، وتناقش نتائج البحوث التجريبية، فقد صدر عام (1890) العدد الأول من "مجلة علم النفس" في ألمانيا بفضل تضافر جهود مجموعة من علماء النفس، وأعقب ذلك صدور عشرات المجلات والنشرات الدورية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.